أولويّة العمل ضمن ديناميّة التالوث
(روم ١٤: ١٣-٢٣)

أ. أنطوان عوكر

مقدمة

سنتوقف في قراءتنا لنصّ روم ١٤: ١٣-٢٣ أوّلاً على الاطار الكتابي؛ ثمّ، بعد أن نكون قد ترجمناه ترجمة حرفيّة، نعرض بُنيتَه، مُعلّلين رباط أقسام هذه البنية؛ أخيراً، نستخلص أبرز ما يورد بولس من توجيهات، مُركّزين على فائدتها لحاضرنا.

١) الاطار الكتابي

ملاحظة: لن نُكرّر ما قلناه في مقالتنا السابقة* حول روم ١٢: ٩-٢١ («لتكن المحبّة بلا رياء ضمن الجماعة المسيحيّة ومع الآخرين») بشأن الإطار العام والإطار المباشر.

يُشكّل القسم الذي يمتدّ من ١٤: ١ إلى ١٥: ١٣ الاطار الكتابي لنصّنا (روم ١٤: ١٣-٢٣). فيه يتوجّه بولس إلى «الأقوياء» و«الضعفاء»: «تقبلوا ضعيف الايمان...» (١٤: ١)؛ فلا يحكم بعضنا على بعض» (١٤: ١٣)؛ «علينا، نحن الأقوياء، أن نحمل أوهان الضعفاء» (١٥: ١)؛ فتقبّلوا إذاً بعضكم بعضاً كما تقبّلكم المسيح» (١٥: ٧)؛ وقبل أن يُنهي الرسالة ابتداء من ١٥: ١٤ بتوجيهاته الشخصيّة وتحيّاته، يختم بولس كلامه للأقوياء والضعفاء في آ ١٣: «ليغمركم إله الرجاء بالفرح والسلام في الايمان، لتفيض نفوسكم رجاءً بقوّة الروح القدس». تُعطي هذه الآيات التي تقسم الاطار القريب لنصّنا (١٤: ١-١٥: ١٣)، الجوّ العام لمضمون توجيهات بولس الأخلاقيّة واللاهوتيّة في الموضوع الذي يُعالج في هذا القسم.

يورد بولس تفاصيل كافية في هذا القسم تجعلنا نفهم مضمون الخلاف بين «الأقوياء» و«الضعفاء». فالأقوياء يأكلون من كلّ شيء (على عكس ما هو سائد في التقاليد اليهوديّة)، إذ يعتبرون أنّ كلّ شيء طاهر، في حين يُعلّق الضعفاء أهميّة كبيرة على تجنّب الطعام الدنس، وبخاصّة في العالم الروماني حيث تُقرَّب ذبائح الأوثان وتُباع لحومها في الأسواق، فيأكلون البقول فقط. من جهة أخرى يُميّز الضعفاء «بين يوم ويوم»، في حين «يساوي الآخرون بين الأيّام كلّها» (١٤: ٥). بكلمة واحدة، يظهر أنّ موضوع الخلاف هو ممارسة أحكام الدين اليهودي عامّة وهذين الموضوعين خاصّة.

والمسألة المطروحة هي مسألة الإدانات المتبادلة بين هاتين الفئتين من الجماعة المسيحيّة. يُعالج بولس هذه المشكلة على ثلاث مراحل. يعرض أوّلاً بعض المبادئ لمعالجة النفور القائم بين الفئتين، داعياً إلى القبول المتبادل وعدم الحكم (١٤: ١-٢)؛ ثمّ يدعو الأقوياء إلى إزالة الشكوك والعثرات من أمام الضعفاء (١٤: ١٣-٢٣)؛ أخيراً يضع بولس المسيح مثالاً يُحتذى من أجل إرضاء القريب وقبوله (١٥: ١-١٣). تجدر الاشارة إلى أنّ هذه المراحل تترابط بشكل وثيق، إذ نجد فيها تكراراً لبعض التوجيهات والمواضيع، ممّا يجعل حدودها تتداخل بشكل انتقالي. فالآية ١٤: ١٣ التي يبدأ بها نَصُّنَا (فلا يحكم بعضنا على بعض مِن بعد، بل احكموا بالأحرى بهذا: عدم وضع معثرة لأخ أو شكّ) تختم ما قيل حول عدم الحكم، وتفتتح ما سيُقال حول عدم تشكيك الأخ. والآية ١٥: ١ («فعلينا نحن الأقوياء، أن نحتمل أوهان الضعفاء، ولا نرضي أنفسنا») تنهي ما قاله بولس بشأن الشكوك وتُمهّد لموضوع إرضاء القريب.

* أنطوان عوكر، بيبليا ٦ (٢٠٠٠) ٤٩-٥١.

٢) بنية روم ١٤:١٣-٢٣

آ ١٣ فلا يحكم بعضنا على بعض من بَعدُ؛ بل احكموا بالأحرى بهذا : عدم وضع معثرة للأخ أو شك.

آ ١٤ أنا عارف وموقن في الرب يسوع أنّ لا شيء نجس بذاته، لكن للذي يحسب شيئاً نجساً فله نجس.
آ ١٥ فإذا بسبب طعام يُحزَن أخوك، فلست تسلك بَعدُ بحسب المحبّة.

فلا تهلك بطعامك ذاك الذي لأجله مات المسيح. آ ١٦ لا يُفترَ إذن على صلاحكم.
آ ١٧ فليس ملكوت اللّه أكلاً ولا شرباً، بل برّ وسلام وفرح في الروح القدس.

آ ١٨ فمَن في هذا يَخدِم المسيح، فهو مَرضي لدى اللّه وممدوح لدى الناس.

آ ١٩ فلنتّبع إذن ما هو للسلام وما هو لبُنيان بعضنا بعضاً.
آ ٢٠ لا تهدم، من أجل الطعام، عمل اللّه.

فكلّ شيء طاهر، لكن من السوء أن يأكل الانسان بمعثرة.
آ ٢١ حسنٌ أن لا تأكل لحماً، ولا تشرب خمراً، ولا ما يعثُر به أخوك.

آ ٢٢ أنت، أَلَكَ عقيدة، فاحتفظ بها لنفسك أمام اللّه. طوبى لمَن لا يحكم على نفسه في ما يقرّر.
آ ٢٣ أمّا المُرتاب فمحكوم عليه إذا أكل، لأنّ ذلك ليس عن عقيدة. فكلّ ما ليس عن عقيدة فهو خطيئة.

نلاحظ في هذه البنية توالي التوجيهات والمبادىء العامّة، مع تكرار الكلمات في الأقسام المتوازية:

آ ١٣ : توجيهات بشأن الحكم

آ ١٤-١٥أ : مبادئ عامّة حول النجاسة وحول محبّة الأخ

آ ١٥ب-١٦ : توجيهات بشأن عدم الإهلاك والعمل في سبيل ملكوت السلام

آ ١٨ : مبدأ المرضيّ لدى اللّه والناس

آ ١٩-٢٠أ : توجيهات بشأن السلام والبنيان وعدم الهدم

آ ٢٠ب-٢١ : مبادئ عامّة حول الطهارة وحول تشكيك الأخ

آ ٢٢-٢٣ : توجيهات بشأن الحكم

٣) توجيهات بولس في روما ١٤:١٣-٢٣

أ - الحكم

لقد أنهى بولس كلامه على إدانة الأخ، مُركّزاً على مفهوم الحكم والإدانة (١٤:١-١٢). ربط هذا المفهوم بـ «ربوبيّة» يسوع. فالضعفاء والأقوياء هم خاصّة الربّ يسوع؛ بالتالي لا يمكن احتقار أو إدانة بعضهم بعضاً، لأنّ صاحب السلطة هو وحده الذي يدين.

أمّا مضمون الإدانة في النص الذي يستوقفنا فيرتبط من جهة بمبدأ عدم تشكيك الأخ، ومن جهة أخرى بالتناغم بين اعتقاد المؤمن الذي يستخلصه من الايمان وبين العمل الذي يقوم به. فمبدأ عدم تشكيك الصغار (الضعفاء) أساسيّ يتجذّر في تعاليم يسوع.

والتناغم بين القناعات الايمانيّة والأعمال يطال الفئتين. من جهة الأقوياء، فإنّهم ليسوا مدعوّين إلى إلغاء حرّيتهم بقدر ما هم مدعوّون إلى المحافظة على الأخ الضعيف. أمّا من جهة الضعفاء فقد يحاولون التماثل بالأقوياء وأكل ما يعتقدونه نجساً (وهو بالتالي نجس بالنسبة إليهم) : هذه خطيئتهم وخطيئة الذين مهّدوا لهم لارتكاب هذه الخطيئة. «طوبى لمن لا يحكم على نفسه في ما يُقرّر».

ب - النجاسة والطهارة

يتبنّى بولس مضمون ما يعلنه الأقوياء : لا شيء نجس في ذاته، كلّ شيء طاهر، وبالتالي يُمكنهم الأكل من كلّ شيء. لكنّه يُذكّرهم أيضاً بما يُعلنه الإيمان المسيحي عامّة : السلوك بحسب المحبّة. وبين هذين المعتقدين يدعو بولس الأقوياء إلى جعل المحبّة تسمو على اعتقادهم «الطعامي». «من السوء أن يأكل الانسان بمعثرة»؛ بالمقابل، حسنٌ أن لا تقوم بشيء يعثر به أخوك. هذه هي الطهارة، وتلك هي النجاسة.

ج - السلام والبنيان

يظهر السلام الذي هو من جوهر ملكوت اللّه، كأساس لبُنيان الجماعة المسيحيّة وتوطيد العلاقات فيها. إعطاء الأولويّة لعيش السلام من قبل الأقوياء يجعلهم يتخطّون مسألة الطعام من أجل مواصلة عمل المسيح. فالمسيح الذي مات من أجل الأخ سلّم الجماعة مهمّة مواصلة عمله الخلاصي تجاهه. على أساس هذا الاختيار الكريستولوجي تأتي توجيهات بولس بشأن السلام والبنيان : مهما عظمت أهميّتها، تفقد مسألة الطعام والشراب حدّتها أمام الهدف الجوهري للحياة المسيحيّة.

د - عمل الانسان وديناميّة الثالوث

هناك احتمالان لفهم اسم الاشارة «هذا» في الآية المحوريّة : «فمن في هذا يخدم المسيح فهو مرضيّ لدى اللّه وممدوح لدى الناس». يمكننا أن نرى أنّ المُشار إليه هو «المسلك»، بمعنى مَن يخدم المسيح بهذه الطريقة...؛ أو «الروح القدس» الذي به تنتهي الآية السابقة، فيُصبح المعنى : مَن في الروح القدس يخدم المسيح، فهو مرضي لدى اللّه وممدوح لدى البشر. نتبنّى نحن القراءة الثانية التي تجعل من هذه الآية المحوريّة آية ثالوثيّة-بشريّة تُلخّص جوهر الحياة المسيحيّة الذي هو لقاء الثالوث بالناس. وتوجيه بولس «الأخلاقي» يربط عمل المؤمن بديناميّة الثالوث. فبالروح القدس الذي يمنح البرّ والسلام والفرح يُخدَم المسيح وجسده الكنسي حتى يُصبح العمل موافقاً لجوهر اللّه الذي هو محبّة. إنّه أسمى عمل يُقام في الانسانيّة.

خاتمة

من الإدانة وتحديد الخطيئة إلى تحديد مفهوم النجاسة والطهارة، إلى بنيان الملكوت، وصل بولس إلى التوجيه الذي هو في أساس اللاهوت الأخلاقي (المسلكي)، ألا وهو العمل ضمن ديناميّة الثالوث.

من جهة أخرى، لن ننسى أنّ هذا النص هو من الكتاب المقدّس، أي من الكتب القانونيّة التي هي في أساس إيماننا. قد نلاحظ ربّما أنّ المشكلة المطروحة في أيّام بولس لا تعنينا اليوم. أساس إيماننا لا يرتكز على كيفيّة حلّ المشكلة بقدر ما يرتكز على المبدأ الإيماني اللاهوتي المُستعمل في طريقة حلّ المشكلة. هذا المبدأ «الثالوثي» المُطلق يُشكّل مفتاحاً لمشاكل مسلكيّة تُعرض علينا اليوم في واقعنا.